وقفة: مع إحسانِ الظن بالله

يا عبد الله، يا مسلم، أحسن الظن بربك الذي خلقك فسواك فعدلك، في أحسن صورة ما شاء ركبك.

أحسن الظن بالله تعالى، وتذكر حديثه القدسي الذي يقول فيه كما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**.

فما أكرمك يا الله لمن أحسن الظن بك، فلا تحرموا أنفسكم من كرم ربكم، وأحسنوا به الظن في أموركم كلها.

وعند الإمام أحمد في المسند، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله**، ووالله الذي لا إله إلا هو، لَمِن أشقى الناس من يقرأ هذا الحديث أو يسمعه، ثم يسيء الظن بالحي القيوم، واللهم ارزقنا والقارئ الكريم حسن الظن بك دائمًا، إنك على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وإحسان الظن بالله ليس له وقت أو حد، فكما يحسن المؤمن الظن بربه حال حياته، فلا يموتن إلا وهو يحسن الظن بالله تقدست أسماؤه، إذ روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول:♂**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**.

وقد بلغ صلى الله عليه وسلم من إحسان الظن بربه منتهاه، ولذا

كان أكثر الناس إحسانًا للظن بالله، وحسبك أن تعلم قوله لأبي بكر يوم كانا في الغار، والصديق رضي الله عنه يقول كما في الصحيحين: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فيقول من وثق بربه، وأحسن الظن به: ♂**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**═.

ولله در القائل:

حسن ظني بحسن عفوك يا رب ::: جميل وأنت مالك أمري جميعًا
صنت سري عن القرابة والأهل ثقة ::: وكنت موضع سري فلا تخزني يوم
بالذي لديك من الستر يوم هتك ::: نشري فلا تهتكن للناس ستري لي
الستور عن حجب الغيب لقنّي ::: حجة ولا وجه عذرِ
حجتي وإن لم تكن يا رب :::

كما حذر سلفنا الصالح رضي الله عنهم من إساءة الظن بذي الجلال والإكرام، فهذا سفيان الثوري رحمه الله قد جثا على ركبتيه عشية يوم عرفة، وصارت عيناه تذرفان الدموع، فسئل رحمه الله من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ فقال: الذي يظن أن الله عز وجل لا يغفر له.

فيا أخي، ويا أختاه، ولكل مؤمن، تذكر قول القائل:

فلا تظنن بربك ظن سوء ولا تظنن ::: فإن الله أولى بالجميل فكيف بظالم
بنفسك قط خيرًا وظن بنفسك ::: جانٍ خجول كذلك خيرها
السوء تجدها وما بك من تقًى فيها ::: كالمستحيل فتلك مواهب الرب
وخير وليس لها ولا منها ولكن ::: الجليل من الرحمن فاشكر للدليل
:::

فيا رباه، لي ولجميع المؤمنين، اجعلنا ممن أحسنوا بك الظن، وأساؤوا الظن بأنفسهم، يا رب العالمين.

* * *